

اخلاقية الافعال البشرية

١٧٣٠- ان الحرية تجعل من الانسان كائنا اخلاقيا. وعندما يفعل الانسان فعلا عن روية يكون كلاب لافعاله. والافعال البشرية، أي تلك التي يختارها الانسان بحرية، بعد ان يحكم فيها الضمير، هي ذات صفة اخلاقية. انها سالحة او سينة .

١. مصادر الاخلاقية

١٧٣١- اخلاقية الافعال البشرية منوطة :

- بالموضوع المختار .
- بالغاية المقصودة او النية .
- بطروف الفعل .

فالموضوع والنية والظروف هي "المصادر" او العناصر التي تتألف منها اخلاقية الافعال البشرية .

١٧٣٢- الموضوع المختار هو خير تبتغيه الارادة عن روية. انه مادة الفعل البشري. والموضوع المختار يحدد نوع الفعل الارادي من الناحية الاخلاقية، بحسب معرفة العقل ورؤيته له مطابقا للخير الحقيقي او مخالفا له. ان قواعد الاخلاقية الموضوعية تعلن النظام العقلي للخير والشر، الذي يشهد به الضمير .

١٧٣٣- تقع النية، في مواجهة الموضوع، ناحية من يفعل الفعل. ولانها تقوم في مصدر الفعل الارادي ، وتحدده بغايته، فهي عنصر اساسي في صفة الفعل الاخلاقية. والغاية هي المقصد الاول للنية، وهي تعني الهدف الذي يرمي اليه الانسان في فعله. النية نزوع الارادة إلى الغاية، وهي تطلع إلى مقصد الفعل. انها مطمح الخير المرتقب من القيام بالفعل. انها لا تقف عند حدود توجيه افعالنا الفردية، بل بإمكانها توجيه افعال متعددة إلى هدف واحد، وبإمكانها توجيه الحياة بكاملها نحو الغاية القصوى. وعلى سبيل المثال ان الخدمة التي يؤديها الانسان غايتها مساعدة القريب، ولكن من الممكن ان يكون الحافز عليها، في الوقت عينه، محبة الله، الغاية القصوى في جميع أفعالنا. ويمكن كذلك ان يصدر فعل واحد عن نيات متعددة، من مثل تأدية خدمة للحصول على حظوة او للتباهي بها .

١٧٣٤- النية الصالحة (كمساعدة القريب، مثلا) لا تجعل سالحا او قويا سلوكا هو بحد ذاته قبيح (كالكذب والافتراء). ان الغاية لا تبرر الوسيلة. وهكذا لا يمكن تبرير الحكم على بريء بكونه وسيلة شرعية لخلص الشعب. وفي المقابل، ان النية السيئة المضافة (كالمجد الباطل) تجعل سينا العمل الذي قد يكون بحد ذاته سالحا (كلاحسان) <sup>١</sup> .

١٧٣٥- الظروف، وبضمنها النتائج، هي العناصر الثانوية في الفعل الاخلاقي. ولها اثرها في جعل اخلاقية الافعال البشرية تزداد او تنقص صلاحا او سوءا (مثلا مبلغ السرقة). وبامكانها كذلك انقاص مسؤولية الفاعل او زيادتها (كمن يأتي فعلا خوفا من الموت). ولا تستطيع الظروف بحد ذاتها تغيير الصفة الاخلاقية الملازمة للافعال البشرية نفسها. فلا يمكنها ان تجعل من فعل سيء بحد ذاته فعلا صالحا او قويا .

## ٢. الافعال الصالحة والافعال السيئة

١٧٣٦- يقتضي الفعل الصالح اخلاقيا ان يكون موضوعة وغايته وظروفه كلها صالحة. فالغاية السيئة تفسد الفعل، ان كان موضوعة صالحا في ذاته (كما هي الحال عندما يصلي الانسان او يصوم "ليراه الناس" ). وبامكان موضوع الاختيار ان يفسد وحده كل الفعل. فهناك انماط من السلوك الواقعي - كالزنى- يكون اختيارها دائما خاطئا، لان اختيارها ينطوي على انحراف في الارادة، أي على شر اخلاقي .

١٧٣٧- فمن الخطا اذن الحكم على اخلاقية الفعل البشري بالاستناد فقط إلى النية التي يصدر عنها او الظروف التي تحيط به (البيئة، الضغط الاجتماعي، والفعل بتأثير المضايقة او الاضطرار ، الخ). هناك افعال هي بذاتها وفي ذاتها محرمة تحريما ثقيلًا من جراء موضوعها، بغض النظر عن الظروف والنيات. تلك هي حال التجديف والحنث والقتل والزنى، فلا يجوز فعل الشر لكي ينتج منه الخير .

## بايجاز

١٧٣٨- الموضوع والنية والظروف هي التي تكون "مصادر" الاخلاقية الثلاثة في الافعال البشرية .

١٧٣٩- يحدد الموضوع المختار من الناحية الاخلاقية نوع الفعل الارادي بحسب معرفة العقل ورؤيته له صالحا او سيئا .

١٧٤٠- "لا يمكن تبرير فعل سيء يصدر عن نية صالحة"<sup>٢</sup> . لان الغاية لا تبرر الوسيلة.

١٧٤١- يقتضي الفعل الصالح اخلاقيا ان يكون موضوعة وغايته وظروفه صالحة .

١٧٤٢- هناك أنماط من السلوك الواقعي يكون اختيارها دائما خاطئا، لان اختيارها ينطوي على انحراف في الارادة أي على شر اخلاقي . فلا يجوز فعل الشر لكي ينتج منه خير.

<sup>٢</sup> توما الاكوييني، في وصيتي المحبة والوصايا العشر ، ٦ .

١٧٤٣- يتوجه الشخص البشري نحو السعادة بأفعاله الصادرة عن روية . وبامكان ما يشعر به من أهواء وعواطف ان يهيئه لذلك ويساعده فيه .

### ١. الاهواء

١٧٤٤- كلمة "الاهواء" هي من التراث المسيحي. والعواطف او الاهواء تدل على الانفعالات او حركات الاحساس التي تجعل الانسان يميل إلى الفعل او يحجم عنه في سبيل ما يحسه او يتخيله صالحا او سيئا .

١٧٤٥- تؤلف الاهواء العناصر الطبيعية للنفسية الانسانية، وهي مكان العبور والرابط بين الحياة الحسية وحياة الروح. ويشير ربنا إلى ان قلب الانسان هو مصدر حركة الاهواء<sup>٣</sup> .

١٧٤٦- الاهواء كثيرة. والاعمق اصلا بينها هو الحب الناتج من جاذبية الخير. الحب يولد الرغبة في الخير الغائب، وأمل الحصول عليه . وتكون نهاية تلك الحركة في اللذة والفرح بالحصول على الخير. التخوف من الشر يسبب البغض والكراهية، وخشية الشر الاقي. وتنتهي هذه الحركة في الحزن الناتج من الشر الحاضر او الغضب الذي يقاومه .

١٧٤٧- "محببة شخص ما، تعني اننا نريد له الخير" <sup>٤</sup> . وكل النوازع الاخرى انما مصدرها حركة القلب البشري الاصلية هذه نحو الخير. "فالخير وحده يحب" <sup>٥</sup> . "الاهواء سيئة اذا كان الحب سيئا وهي صالحة اذا كان صالحا" <sup>٦</sup> .

### ٢. الاهواء والحياة الاخلاقية

١٧٤٨- ليست الاهواء بحد ذاتها صالحة او سيئة. ولا تكون لها صفة اخلاقية الا بمقدار ارتباطها الفعلي بالعقل والارادة. وتدعى الاهواء ارادية "اما لان الارادة اثارها، واما لان الارادة لم تعقها" <sup>٧</sup> . ومن خصائص كمال الخير الاخلاقي او الانساني ان ينظم العقل الاهواء<sup>٨</sup> .

١٧٤٩- ليست العواطف الكبرى هي التي تقرر اخلاقية الاشخاص او قداستهم. انها المخزن الذي لا يفرغ للصور المعبرة عن الحياة الاخلاقية. الاهواء صالحة اخلاقيا عندما تساعد على عمل

<sup>٣</sup> ر: مر ٧: ٢١ .

<sup>٤</sup> توما الاكوينى، خ ل ١-٢، ٢٦، ٤ .

<sup>٥</sup> ر: القديس اوغسطينوس، في الثالث ٨، ٣، ٤ .

<sup>٦</sup> القديس اوغسطينوس، مدينة الله ١٤، ٧ .

<sup>٧</sup> توما الاكوينى خ ل ١-٢، ٢٤، ١ .

<sup>٨</sup> م س ١-٢، ٢٤، ٣ .

صالح، وهي سيئة في خلاف ذلك. والارادة المستقيمة توجه نحو الخير والسعادة الحركات الحسية، وتضطلع بالمسؤولية عنها، اما الارادة السيئة فتسقط في الاهواء المنحرفة وتهيجها. ويمكن ان تكون الانفعالات والعواطف مؤانية في الفضائل، او فاسدة في الرذائل .

١٧٥٠- في الحياة المسيحية، يتمم الروح القدس نفسه عمله، بتجيش الكائن كله بما ينطوي عليه من الام ومخاوف واحزان، كما بدا ذلك في نزاع الرب والامه. ويمكن، في المسيح، ان تبلغ العواطف البشرية كمالها في المحبة والسعادة الالهية .

١٧٥١- الكمال الاخلاقي يكون بأن يتحرك الانسان نحو الخير لا بارادته فقط وانما برغبته الحسية ايضا ، بحسب كلمة المزمور "يرنم قلبي وجسمي للاله الحي" (مز ٨٤: ٣).

بايجاز

١٧٥٢- تدل كلمة "الاهواء" على الانفعالات والعواطف. ويستطيع الانسان من خلالها ان يستشعر الخير ويستشف الشر .

١٧٥٣- الاهواء الرئيسة هي الحب والبغض، والرغبة والخوف، والفرح والحزن والغضب.

١٧٥٤- ليس في الاهواء، بكونها حركات حسية، خير او شر اخلاقي. ولكنها، بارتباطها او انفصالها عن العقل والارادة، يكون فيها خير او شر اخلاقي.

١٧٥٥- يمكن ان تكون الانفعالات والعواطف مؤانية في الفضائل، او فاسدة في الرذائل.

١٧٥٦- كمال الصلاح الاخلاقي ان لا يتحرك الانسان نحو الخير بارادته وحدها ولكن ايضا "بقلبه".

## الضمير الاخلاقي

١٧٧٦- "يكتشف الانسان في ذات ضميرة ناموسا لم يصدر عنه، ولكنه ملزم بطاعته، وصوته يدعو أبدا ذلك الانسان الى حب الخير وعملة، والى تجنب الشر، ويدوي أبدا في اذان قلبه (...). انه ناموس حفرة الله في قلب الانسان. والضمير هو المركز الاشد عمقا وسرية في الانسان، والهيكل الذي ينفرد فيه الى الله، ويسمع فيه صوت الله"<sup>٩</sup>.

### ١. حكم الضمير

١٧٧٧- ان الضمير الاخلاقي<sup>١٠</sup>، الموجود في قلب الشخص، يوعز الية في الوقت المناسب ان يفعل الخير ويتجنب الشر. وهو يحكم أيضا في شأن الاختيارات الواقعية، فيستحسن الصالح منها وينكر السيء<sup>١١</sup>. ويؤكد سلطان الحقيقة بالرجوع الى الخير الاعظم الذي الية ينجذب الشخص البشري ومنة يتقبل الوصايا. وعندما يصغي الانسان الفطن الى الضمير الاخلاقي، يصبح بإمكانه سماع الله الذي يتكلم.

١٧٧٨- الضمير الاخلاقي حكم صادر عن العقل يعرف به الشخص البشري الصفة الاخلاقية للفعل الواقعي الذي سيفعله، أو يفعله الان، أو قد فعله. وعلى الانسان، في كل ما يقول أو يفعل، أن يتبع بأمانة ما يعلم أنه قويم وحق. والانسان اما يدرك ويعرف رسوم الشريعة الالهية بحكم ضميرة:

الضمير "شريعة من روحنا ولكنه يتجاوز روحنا، ويصدر الينا أوامر، ويشعر بالمسؤولية والواجب، والخوف والرجاء (...). انه رسول ذلك الذي يكلمنا من وراء الستار، في عالم الطبيعة كما في عالم النعمة، ويعلمنا ويحكمنا. الضمير هو الاول بين جميع نواب المسيح"<sup>١٢</sup>.

١٧٧٩- ينبغي لكل واحد أن يكون له من الحضور في ذاته ما يجعله يسمع صوت ضميرة ويتبعة. ومطلب الحضور الداخلي هذا تشتد ضرورته بسبب ما تعرضنا له الحياة مرارا، من تجنب التفكير والمحاسبة، أو الرجوع الى الذات:

"عد الى ضميرك وسائلة (...). عودوا، أيها الاخوة، الى الداخل، وانظروا، في كل ما تفعلون، الى الشاهد، الى الله"<sup>١٣</sup>.

١٧٨٠- كرامة الشخص البشري تتضمن وتقتضي استقامة الضمير الاخلاقي. والضمير الاخلاقي ينطوي على ادراك المبادئ الاخلاقية، وتطبيقها في ظروف معينة، بالتمييز العملي للاسباب والخير، وبالنتيجة، على الحكم الصادر على أفعال واقعية فعلت أو ستفعل. والحقيقة في شأن الخير الاخلاقي، المعلنه في شريعة

<sup>٩</sup> ك ع ١٦

<sup>١٠</sup> ر: رو ٢: ١٤-١٦

<sup>١١</sup> ر: رو ١: ٣٢

<sup>١٢</sup> نيومن، رساله الى دوق نورفلك، ٥

<sup>١٣</sup> القديس اوغسطينوس، في رساله يوحنا الى اليرتئين ٨، ٩

العقل، تعرف عمليا وواقعا بالحكم الفطن الذي يصدره الضمير. ويدعى فطنا الانسان الذي يختار ما يتوافق مع ذلك الحكم.

١٧٨١- يتيح الضمير تحمل مسؤولية ما يؤتى من الافعال. فاذا صنع الانسان الشر، لخبث اختياره الفردي. وقرار حكم الضمير يبقى عربون رجاء ورحمة. وهو، اذ يؤكد الذنب الذي ارتكب، يذكر بالغفران الذي يجب أن يطلب، والخير الذي يجب أن يمارس أيضا، والفضيلة التي يجب أن تتوخى بلا انقطاع وبنعمة الله:

"تسكن قلبنا أمامة، اذا ما بكتنا قلبنا، بأن الله أعظم من قلبنا، وعالم بكل شيء" (١ يو ٣: ١٩-٢٠).

١٧٨٢- ان الانسان له الحق في ان يسلك بضمير وحرية ليتخذ هو شخصيا القرارات الاخلاقية. "ليس من الجائز أن يكره الانسان على ما لا يبيحه ضميره. وليس من الجائز أن يمنع من عمل ما يقتضيه ضميره ولا سيما في أمور الدين"<sup>١٤</sup>.

## ٢. تنشئة الضمير

١٧٨٣- لا بد من أن يكون الضمير مطلعاً، والحكم الاخلاقي مستنيراً. فالضمير الذي أحسنت تنشئته يكون قوياً وصادقاً. فيصدر أحكامه وفاقاً للعقل، ومتوافقة مع الخير الحقيقي الذي أرادته حكمة الخالق. ولا بد من تربية الضمير عندما يتعلق الامر بكائنات بشرية خاضعة لمؤثرات سلبية، ومجربة بخطيئة تفضيل حكمها الخاص، ورفض التعاليم الصحيحة.

١٧٨٤- تربية الضمير هي عمل الحياة كلها. فتوقظ الولد منذ السنوات الاولى، لمعرفة الشريعة الداخلية التي يعترف بها الضمير الاخلاقي، وللمارستها. التربية الفطنة تعلم الفضيلة، وهي تصون وتشفي مما ينجم عن الضعف والذنوب البشرية، من الخوف والانانية والكبرياء، والتضايق الناتج من الذنب، ونزوات الرضى عن الذات. ان تربية الضمير تكفل الحرية وتولد سلام القلب.

١٧٨٥- في تنشئة الضمير يكون كلام الله النور الذي يضيء طريقنا. ولا بد لنا من تقبله في الايمان والصلاة، وممارسة عمليا. وعلينا أيضا امتحان ضميرنا بالنسبة الى صليب الرب، تؤازرنا مواهب الروح القدس، وتساعدنا شهادة الاخرين وارشاداتهم، ويكون لنا دليلا لتعليم الكنيسة الصحيح<sup>١٥</sup>.

## ٣. الاختيار بحسب الضمير

١٧٨٦- يستطيع الضمير، في مواجهه اختيار أخلاقي، أن يصدر حكما يكون اما مستقيما متوافقا مع العقل والشريعة الالهية واما، على العكس، حكما خاطئا يتعد عنها.

١٧٨٧- يحدث أحيانا ان يواجه الانسان حالات تجعل الحكم الاخلاقي أقل ثباتا، والقرار صعبا. ولكن عليّة دوما أن يبحث عما هو قويم وصالح، وأن يميز مشيئة الله التي تعبر عنها الشريعة الالهية.

١٧٨٨- لذلك يسعى الانسان الى تفهم معطيات الخبرة وعلامات الازمنة، مستندا الى فضيلة الفطنة، والى نصائح الاشخاص الفهماء والى مؤازرة الروح القدس ومواهبه.

١٧٨٩- هناك بعض قواعد يعمل بها في جميع الحالات:

- لا يسمح اطلاقا أن يصنع الشر لينتج منة الخير.
- "القاعدة الذهبية": "كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوه أتم أيضا بهم" (متى ١٢:٧).<sup>١٦</sup>
- المحبة تكون دائما في سياق احترام القريب وضميرة: "إذا ما خطئتم هكذا الى الاخوة وجرحتم ضميرهم (...). فامّا تخطأون الى المسيح" (١ كو ١٢:٨).

#### ٤. الحكم الخاطيء

١٧٩٠- ان الكائن البشري ملزم دوما بالخضوع لحكم ضميرة الاكيد. واذا خالفة عن رؤية فهو يحكم على نفسه بنفسه. وقد يحدث أن يكون الضمير الاخلاقي في حالة جهل، فيصدر أحكاما خاطئة على أفعال ستفعل أو فعلت.

١٧٩١- يمكن ان ينسب هذا الجهل مرارا الى المسؤولية الشخصية. تلك هي الحال "عندما الانسان قلما يعنى بالبحث عن الحق والخير، وعندما تكاد الخطيئة تعمي ضميرة شيئا فشيئا"<sup>١٧</sup>. وفي هذه الحالة يكون الشخص مذنبا بالشر الذي صنعه.

١٧٩٢- جهل المسيح وانجيله، وما يصدر عن الاخرين من أمثلة سيئة، وعبودية الاهواء، وادعاء استقلال ذاتي خاطيء للضمير، ورفض سلطة الكنيسة وتعليمها، وفقدان التوبة والمحبة، تلك أمور يمكن أن تكون مصدر انحرافات الحكم في السلوك الاخلاقي.

١٧٩٣- اذا كان الجهل، على العكس، مطبقا، أو كان الحكم خاطئا دون أن يتحمل الانسان مسؤولية أخلاقية، لا يمكن ان ينسب الى الشخص ما صنع من شر. ولكن ذلك يبقى شرا، وحرمانا، وانحرافا. فلا بد من السعي الى اصلاح ضلالات الضمير الاخلاقي.

١٧٩٤- الضمير الصالح النقي ينيرة الايمان الحقيقي، لان المحبة تصدر في الوقت ذاته "عن قلب طاهر وضمير صالح وايمان لا رثاء فيه" (١ تي ١: ٥)<sup>١٨</sup>.

<sup>١٦</sup> ر: لو ٦: ٣١؛ طو ٤: ١٥

<sup>١٧</sup> ك ع ١٦

<sup>١٨</sup> ر: ١ تي ٢: ٣؛ ٢ تي ١: ٣؛ ١ بط ٣: ٢١؛ أع ٤: ٢٤؛ ١٦: ٢٤

"بقدر ما يتغلب الضمير القويم، يبتعد الافراد كما تبتعد الجماعات عن القرار الاعمى، ويعملون على تطبيق النظم الاخلاقية الموضوعية"<sup>١٩</sup>.

## بايجاز

١٧٩٥- "الضمير هو المركز الاشد عمقا وسرية في الانسان، والهيكل الذي ينفرد فيه الى الله ويسمع فيه صوت الله"<sup>٢٠</sup>.

١٧٩٦- الضمير الاخلاقي هو حكم صادر عن العقل يعرف به الشخص البشري الصفة الاخلاقية للفعل الواقعي.

١٧٩٧- بالنسبة الى الانسان الذي صنع الشر، يبقى قرار الضمير عربون توبة ورجاء.

١٧٩٨- يكون الضمير الذي أحسنت تنشئة قويا وصادقا. فيصدر أحكاما متطابقة مع العقل ومتوافقة مع الخير الحقيقي الذي أرادته حكمة الله. وعلى كل انسان ان يتخذ الوسائل لتنشئة ضميرة.

١٧٩٩- يستطيع الضمير، في مواجهه اختيار أخلاقي، أن يصدر حكما يكون اما مستقيما متوافقا مع العقل والشريعة الالهية، واما، على العكس، حكما خاطئا يبتعد عنهما.

١٨٠٠- ان الكائن البشري ملزم بالخضوع لحكم ضميرة الاكيد.

١٨٠١- يمكن أن يبقى الضمير الاخلاقي في حالة الجهل، أو أن يصدر أحكاما خاطئة. وهذان الجهل والخطأ ليسا دائما خاليين من المسؤولية.

١٨٠٢- كلام الله هو نور لخطواتنا. ولا بد لنا من تقبله في الايمان والصلاة، ومن ممارستها عمليا. وهكذا ينشأ الضمير الاخلاقي.

<sup>١٩</sup> ك ع ١٦

<sup>٢٠</sup> ك ع ١٦